الضفة والقطاع في خريف عام ١٩٧٩، وكان لا يزال وزيراً للخارجية في حكومة الليكود[١٥]. وللتأكيد على الموقف الرافض للمساومة على مصير الضفة والقطاع وبالتالي عدم الاعتراف بضرورة اعتبار الفلسطينيين طرفا في النزاع اختار بيغن خلفاً لدايان في وزارة الخارجية اسحق شمير الذي وصفته صحيفة اسرائيلية بأنه «واحد من الاعضاء الاكثر تحمساً في حركة ارض اسرائيل الكاملة» وانه «يعارض اتفاقات كامب ديفيد»[١٦].

بذلك يتبين ان قبول اسرائيل لاتفاقيات كامب ديفيد لا يعني تحولا في موقفها الرافض لقومية الشعب الفلسطيني بل هو تأكيد عليه وترسيخ له. ولا يجوز اعتبار تلك الاتفاقيات دلالة على ليونة اسرائيل تجاه الحركة الوطنية الفلسطينية بل لغم في دربها ومحاولة لتوريطها في تصفية القضية الفلسطينية كقضية قومية. كذلك لا يجوز اعتبار فكرة الحكم الذاتي ملاطفة للشعور القومي الفلسطيني او مداعبة للرأي العام العالمي المؤيد له والمتعاطف معه، حيث ان الاسلوب الذي اقرته الحكومة الاسرائيلية لمكافحة التعاطف المتزايد مع الشعب الفلسطيني هو مجابهته بتكثيف حملتها الاعلامية في الخارج والقيام «بجهد هائل في كل عاصمة لوقف هذه المسيرة»[١٧] وليس مهادنته بتعديل سياستها. ويمكن القول ان الحكم الذاتي، كما تفهمه حكومة الليكود، ما هو إلا المرحلة الثانية من مراحل نضوج الاحتلال والاحتواء الاسرائيلي لباقي الارض الفلسطينية الذي يقصد له أن يتطور من احتلال سافر الى احتلال مستتر ومن ثم الى ضم الاراضي المحتلة وفرض السيادة الاسرائيلية عليها. أي أن الحكم الذاتي، كما قال بيغن نفسه في تصريح اوردناه سابقا، هو فكرة صهيونية تهدف الى نقل حدود اسرائيل الى نهر الأردن تحت ستار من الشرعية بحصول موافقة عربية عليها.

المعراخ: التمثيل اللافلسطيني

كثيرون من الاسرائيليين يرفضون مقولة اللاوجود الفلسطيني وحتى يخجلون من سخافتها. ان الرفض الدولي الواسع لهذه المقولة يعرض الاسرائيليين للنقد والاحراج وحتى للسخرية، إضافة الى ان كثيرين من الاسرائيليين يدركون انها تجرهم الى نفق سياسي مسدود. لذلك نشأ وتنما في اسرائيل تيار يتركز في كتلة المعراخ يقر بوجود الشعب الفلسطيني ولا يراوغ في الاعتراف بصفته القومية. وكثيرون منهم لا يتهربون من العواقب المنطقية لهذا الموقف، فيعترفون بحق الشعب الفلسطيني في ان يكون له كيان سياسي. لكنهم، هنا يصطدمون بالعلاقة التاريخية بين الشعب الفلسطيني وفلسطين، وبمسألة الكثافة السكانية الفلسطينية القائمة فعلا في اجزاء كبيرة من البلاد التي يرغبون في احتكارها. من هذا المنطلق نشط هؤلاء في البحث عن صيغة توفق بين ضرورة الاعتراف بقومية الشعب الفلسطيني وضرورة اجهاض الاطار السياسي الملائم لهذا الواقع. أي انهم ارادوا الفلسطينيين كـ «الشيطان»، جسماً بلا ظل، وشعباً بلا وطن.

وكانت الصيغة التي توصلوا اليها، نتيجةً لبحثهم هذا، هي صيغة الوطن البديل، فدعوا الى اقامة ما يسمونه دولة اردنية – فلسطينية في الضفة الشرقية وربما في بعض